﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأعراف: 163]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

انْتِقالٌ مِنَ الحَدِيثِ عن قريةٍ ظالمةٍ، إلى أُخرَى، كانت تعدُو في السّبْتِ

مناسبةُ الآيةِ لما قبلها أنّه انتقلَ من قصّةِ قريةٍ من قرى بني إسرائيل إلى الحديث عن قريةٍ أخرى[1]، فلمّا "فرغَ من هَتكِ أستارِهم فيما عملُوه أيّام موسى عليه السلام وما يليها، أتبعه خِزيًا آخرَ أشدَّ ممّا قبلَه"[2]، ولمّا أخبر أنّه أباحَ لهم ما شاء منَ الطَّيِّبات بقوله جلّ ذكره: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾، ودَلَّ على أنّهم قابلوا الإحسانَ بالظّلم، بَيَّن أنّهم عَدَلوا عنِ الطّيّباتِ المأذونِ فيها، وأكلوا ممّا حُرِّمَ عليهم بالاصطياد يوم السّبت[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿حَاضِرَةَ﴾: (حَضَرَ) أصلٌ، هو إيرَادُ الشَّيءِ، ووُرودُهُ ومُشاهَدَتُهُ. وحَضرَةُ الرّجل: قُربه وفِناؤه، ويُقال: كَلَّمتُه بَحَضرَةِ فلانٍ وبِمَحْضَرٍ من فلان؛ أي: بمشهدٍ منه. الحُضورُ: نَقِيضُ المَغيب والغَيبةِ، والحاضِرةُ: خلاف البادية، وهي المدن والقرى والرّيف. وقال تعالى: ﴿مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران: 30]؛ أي: مُشاهَدًا مُعايَنًا في حكم الحاضر عنده[4].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/147.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 8/137.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 8/134.
(4) الجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (حضر).

وقوله ﷻ: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾؛ أي: قُرْبَه، قريبةً منه راكبةً لشاطئه[1].

2) ﴿يَعْدُونَ﴾: (عَدَوَ) أصلٌ يَدُلُّ على تَجاوُزٍ في الشَّيءِ، وتَقَدُّمٍ لِمَا يَنبَغِي أَن يُقتَصَرَ عليه. والاعتداء والتّعدّي والعُدْوان: خروجٌ عمّا حُدَّ ورُسِمَ، وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾؛ أي: ولا مُتجاوِزٍ ما حُدَّ له[2]. والتّعدّي: مجاوزةُ الشّيء إلى غيره، يُقال: عدَّيْتُه فتَعدّى؛ أي: تجاوَزَ. وقوله: ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: 229]؛ أي: لا تُجاوِزوها إلى غيرها، وكذلك قوله: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطّلاق: 1]؛ أي: يُجاوِزها. وقوله ﷺ: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: 7]؛ أي: المجاوزون ما حُدَّ لهم وأُمِرُوا به[3]. وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾؛ أي: أنّهم "يتعدَّوْنَ حَدَّ الشّرعِ في دينهم، مِن تَرْكِ الاصطيادِ في يوم السّبت"[4].

3) ﴿ٱلسَّبْتِ﴾: (سَبَتَ) أَصلٌ يدلُّ على راحةٍ وسكونٍ. أصلُ السَّبت: القَطْعُ، والسُّباتُ: النَّومُ، وأَصلُه الرّاحةُ، تقولُ منه: سَبَتَ يَسبُتُ، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾؛ فكأنّه إذا نامَ، فَقَدِ انقَطَعَ عَنِ النَّاسِ. ومن سَبَتَ السَّيْرَ: قَطَعَهُ. وسَبَتَ شعرَه: حَلَقَه. والسَّبتُ: مِن أَيّام الأُسبوع، وإنّما سُمِّيَ السّابعُ مِن أَيّام الأُسبوع سَبْتًا؛ لأَنّ اللَّه تعالى ابتدأَ الخَلقَ فيه، وقَطَعَ فيه بعضَ خَلقِ الأَرضِ، وأَمَرَ بَني إسرائيلَ بِقَطْعِ الأعمالِ وتَرْكِها فيهِ، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾؛ أي: يوم قَطْعِهم للعمل[5].

4) ﴿حِيتَانُهُمْ﴾: الحوتُ: معروفٌ وهو ماعَظُمَ منَ السّمك، والجمعُ حيتانٌ وأحواتٌ، وقال قومٌ: بل السّمكُ كلُّه حيتان[6]، وهو مذكّر، وفي التّنزيل ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾ [الصّافّات: 142][7]. ولفظ (حوت) أَصلٌ وهو مِنَ الاضطِرابِ والرَّوَغانِ، حاوتَك فلانٌ إذا راوَغَك. والمُحاوَتةُ: المُراوَغَة. وحاتَ الطّائرُ على الشَّيءِ يَحُوتُ؛ أَي: حامَ حَوله. والحوتُ:

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/170.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (عدو).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (عدو).
(4) النّسفيّ، التّيسير في التّفسير: 7/39.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (سبت).
(6) ابن دريد الأزديّ، جمهرة اللّغة: (حوت).
(7) الفيّوميّ، المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير: (حوت).

العَظِيمُ مِنَ السَّمَكِ، وهو مُضطَرِبٌ أَبَدًا غَيرُ مُستَقِرٍّ، والجَمعُ أَحواتٌ، وحِيتانٌ[1].

5) ﴿شُرَّعًا﴾: (شَرَعَ) أَصلٌ، وهو شَيءٌ يُفتَحُ في امتِدَادٍ يَكونُ فيهِ. شرع: شَرَعَ الوارِدُ يَشرَعُ شَرعًا وشُروعًا: تَنَاوَلَ الماءَ بفيه. وشَرَعَتِ الدّوابُّ في المَاءِ: دَخلَتْ. وحِيتانٌ شُرُوعٌ: رافعةٌ رُؤُوسَها. وقَولُهُ تعالى: ﴿تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾، جمعُ شارِعٍ؛ أي: باديةً خراطيمَها لكلّ أحدٍ، وذلك أنّ اللّه تعالى ابتَلى اليهودَ بتحريم الصّيد يومَ السّبتِ وبإلهام السّمكة بذلك، فكانَت تظهرُ إلى أن يكاد الإنسانُ يقبِضُها[2]؛ أي: قريبةً مشرفةً لهم ظاهرةً على وجه الماء بكثرةٍ، فكانت تدنو منَ القرية بحيث يُمكنُهم صيدُها[3].

6) ﴿يَسْبِتُونَ﴾: (سبت)، وقد سَبَتُوا يَسبِتُون ويَسبُتون، وأَسبَتُوا: دخَلُوا في السَّبتِ. وسَبَتَ فلانٌ: صارَ في السّبت. والإسباتُ: الدّخولُ في السَّبتِ. والسَّبتُ: قيامُ اليَهُودِ بأَمرِ سُنَّتِها. قَالَ تعالى: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾؛ أي: لا يَقْطَعون الشّغلَ[5].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

بيانُ قِصّةِ القريةِ البَحريّةِ الّتي امتُحِنَت بحيتانٍ تأتي شُرَّعًا يومَ السّبتِ دونَ سِواه

يخبرُ اللّهُ تعالى عن قِصّةٍ أخرى من قَصص بني إسرائيل، وقد ذُكِرَت هذه القصّة في سورة البقرة إجمالًا، وهاهنا ذُكرت تفصيلًا، فيُخاطِبُ اللّهُ تعالى النبيَّ ﷺ أن يسألَ معاصريه، من بني إسرائيل، عمّا فعل أسلافُهم منَ الّذين كانوا في القرية الّتي كانت

(1) الجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (حوت).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفاظ: (شرع).
(3) الواحديّ، البسيط: 9/410، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 8/138.
(4) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (سبت).
(5) العليميّ، فتح الرّحمن: 3/50.

على ساحل البحر، حالَ تعدّيهم، وعقابِ اللّهِ إيّاهم، فقد أمرهم اللّهُ تعالى أن يُعظِّموا يومَ السّبت بانقطاعهم للعبادة، وتركِ العمل، ولا يصيدوا فيه صيدًا، فابتلاهم اللّه وامتَحَنَهم، فكانتِ الحيتانُ تأتيهم ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ كثيرةً طافيةً على وجه البحر، وإذا ذهبَ يومُ السّبت تذهبُ الحيتانُ في البحر، فلا يرون منها شيئًا، ابتلاءً لهم بذلك، حيث إنّ فسقَهم هو الّذي أَوْجَبَ أن يَبتليَهم اللّهُ، وأن تكونَ لهم هذه المحنةُ، وإلّا فلو لم يَفْسُقوا لعافاهم اللّه، ولمَا عَرَّضَهُم للبلاءِ والشّرِّ[1].

والمرادُ من هذه القصّة تقريرُ ما كانوا قد أقدموا عليه منَ الاعتداء والفِسْق في الماضي، ليُعْلَم أنّ لهم سابقةً في ذلك، وليس كفرُهم بمحمّد ﷺ أوّلَ مناكيرهم[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دَلالةُ العطْفِ ومعناه، في قولِه: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾:

عطف الفعل ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ على الفعل المحذوف في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾، وتقديره: وذَكِّرهم، فهي عاطفةٌ قصّةً على قصّةٍ[3]، فالآيةُ تتناولُ قصّةً أخرى من قَصص أسلاف بني إسرائيل.

عَطْفُ قِصَّةِ أصحابِ السّبْتِ، على قِصّةِ أصحابِ القريةِ

سِرُّ العُدولِ منَ الإخْبارِ إلى السّؤالِ:

في قوله جلّ شأنه: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾، عَدَلَ عنِ الإخبار إلى السّؤال، فلم يقُل: (وإذ تعدو القرية الّتي..)؛ لأنّ السّؤالَ يدلُّ على التّقريع، ولأنّه أبلغُ في التّوبيخ، كما أنّ فيه إشارةً إلى شدّة كراهتهم

السُّؤالُ أوْقعُ في التّقريعِ منَ الإخبارِ، وأبْلَغُ في الدّلالةِ عنِ المُرادِ

(1) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 306، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 9/93.
(2) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 3/337.
(3) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 6/628، والهَرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 10/212.

للاطّلاعِ على هذه الفضيحةِ، أشدَّ ممّا مضى[1]؛ لأنّ السّؤالَ يجعلُ المخاطَبَ يشاركُ في فضح نفسه، إمّا بالتّقرير وإمّا بالإفحام، واضطراره أن يكون مشاركًا في تأكيد الحكاية.

دَلالةُ عَوْدِ الضّمائرِ في قولِه: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾:

فَـضْـحُ يـهـودِ المدينةِ بسَوابقِ أسلافِهم، بيانٌ لـرُسـوخِـهـم في الفِسْقِ

الضّميرُ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ لليهود الّذين هم بحضرة النبيّ ﷺ، والّذين هم من نسل أصحابِ القِصّةِ[2]، والخطاب "للنّبيّ ﷺ مأمورًا بأن يسألَ اليهودَ الّذين عاصروه عليه السلام عمّا كان من أسلافهم"[3]، وفي ذلك فَضْحٌ لهم بسوابق أسلافهم، ودفعٌ للتّعجب مِن كُفْرِهم بالإسلام بذِكْرِ جرائمِ أجدادِهم؛ لبيان أنّهم قومٌ راسخون في الفِسْقِ والظّلم.

الدّلالةُ على الأمرِ، في قولِه: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾:

غَـرَضُ سُؤالِهم الـتّـوبـيـخُ والـتّـقـريـعُ لهم، بما فعَلَ أسلافُهم

دَلَّ السّؤالُ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ دلالةً مجازيّةً على التّعريض بالمعاصرين منهم للنبيِّ ﷺ، من خلال التّذكير بمعاصي أجدادهم، إذ ليس المرادُ استخبارَهم عن تلك القرية؛ فإنّ النّبيّ ﷺ قد عَلِمَها عن طريقِ الوحي، وتوجيهُ السّؤالِ إليهم إنّما هو توبيخٌ لهم[4]؛ أي: اسألهم مُوبِّخًا لهم، عمّا كان من أجدادهم في أمر القرية منَ الخطيئة. والسّؤالُ قد يكون للتّقرير والتّوبيخ، كما أنّ همزةَ الاستفهام تأتي للتّقرير، كقولك: أعدوتُم في السّبت، فكما أنّ معنى الهمزة هنا التّقريرُ والتّقريعُ، كذلك السّؤال[5].

(1) الطِّيبِيّ، فتوح الغيب: 6/628، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 8/137.
(2) الشّهاب، عناية القاضي: 4/227.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 6/2986.
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/467.
(5) الواحديّ، البسيط: 9/407، والطِّيبِيّ، فتوح الغيب: 6/627.

بَلاغةُ حذْفِ مُتَعَلَّقِ ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾:

جاء الأمرُ بالسّؤال في قوله جلّ شأنه: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ مطلقًا، فحَذَفَ مُتعلَّقَ المسؤول عنه، والقريةُ ليست هي المقصود بالسّؤال، بل عنِ الحدث الّذي وقع بها؛ أي: اسألْهم عن حالِها وخبرِها وما جرى على أهلها[1]، وعدمُ التّصريح بذلك تشويقٌ للسّامع، فيتطلَّعُ إلى سماعِ هذا الخبر الّذي يدلُّ أسلوبُ إيراده على أنّه من خطورة الشّأن بمكان.

حَـذْفُ المسؤولِ عـنـه، يُـشـوِّقُ السّامِعَ لمعرفةِ الخبَرِ

معنى (أل) في ﴿ٱلْقَرْيَةِ﴾، والمُرادُ بها:

في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾، جاء لفظُ القرية معرَّفًا بالألف واللّام الدّالّة على العهد، فالمرادُ سؤالُهم عن قرية بعينها، لا عَنْ جنسِ القُرى، والقريةُ هنا "(أيلةُ) وهي المسمّاةُ اليومَ (العَقَبَةَ)، وهي مدينةٌ على ساحل البحرِ الأحمرِ قُربَ شبهِ جزيرةِ طُورِ سينا، وهي مبدأُ أرضِ الشّامِ من جهةِ مصرَ، وكانت من مملكةِ إسرائيلَ في زمانِ داودَ ﷺ"[2].

الـقَـريـةُ المُـرادةُ خلَّدَها القرآنُ، بذِكْرِ قِصَّتِها في كتابِه الخالدِ

بَلاغةُ التّعْبيرِ في السّؤال، في قولِه: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾:

افتتح القُرآنُ القصّةَ عن هذه القرية بقوله جلّ شأنه: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾، فطَلَبَ منَ النّبيّ ﷺ أن يسألَهم عنها، ولم يأتِ ذلك عن طريق الإخبار، لِمَا في السّؤال من تقريرٍ وتقريعٍ، وهذا أبلغُ من طريقة الإخبار، " هذه القصّة ليست ممّا كُتِبَ في توراةِ اليهودِ ولا في كتبِ أنبيائِهم، ولكنّها ممّا كانَ مرويًّا عن أحبارِهم، ولذلك افتُتِحَتْ بالأمرِ بسؤالِهم عنها؛ لإشعارِ يهودِ العصرِ النّبويِّ بأنّ اللّه أَطْلَعَ نبيَّهُ ﷺ عليها، وهم كانوا يكتمُونها"[3]، وفي ذلك إشارةٌ إلى عراقتِهم في المعاصي، فكُفْرُهم بك ليس ممّا يُستغربُ منهم.

قِـــدَمُ هـذه الـقِـصّةِ، دليلٌ عـلـى عَـراقـةِ الـيـهـودِ في المعاصِي

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/39، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/284.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/147. والعَقَبَةُ الآن: إحدى مُدُنِ الأردنّ.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/146.

بَلاغةُ الإيجازِ بالحذْفِ:

غَـرَضُ السُّـؤالِ عن قِصّةِ القريةِ وعن أهْلِها

في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ السّؤالُ جاء عنِ القرية، ولكنّ المرادَ أن يسألَ "أهلَها، كأنّه قيل: واسألهم عن أهلِ القريةِ وقتَ عدوانهم في السّبت، وهو من بدل الاشتمال"[1]، فالقريةُ مشتمِلةٌ عليهم، فهو في علم البيان مجازٌ مُرسَلٌ؛ لأنّه أَطْلَقَ المحلَّ، وأرادَ الحالَّ فيه[2]، فحَذَفَ المضاف، وأقامَ المضافَ إليه مقامَهُ.

سِرُّ وصْفِ القريةِ بأنّها ﴿حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾:

الـقـريـةُ قريبةٌ مـنَ الـبـحْـرِ، حيث كانت تأتي حِيتانُهم شُرَّعًا

وصفَ الخِطَابُ القريةَ في قوله جلّ شأنه: ﴿ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾، بأنّها حاضرةُ البحر، والمرادُ من ذلك أنّها قريبةٌ منَ البحر[3]، فالحضورُ "نقيضُ الغَيبة؛ أي: الّتي هي مجاورة البحر، وبقربه، وعلى شاطئه، كقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: 196]"[4]، وإنّما ذكر هذه الصّفةَ دون غيرها منَ الصّفات تمهيدًا للقصّة، إذ إنّ القصّةَ المرويّةَ عنها مُتعلِّقةٌ بالبحر، فذكر البحرَ في وصفها تهيئةً وتمهيدًا لما سيأتي.

معنَى (أل) في لفْظِ ﴿ٱلْبَحْرِ﴾:

تـأكـيـدُ ارْتـبـاطِ القريةِ بالبَحْرِ، وأنّ الامْـتـحـانَ كان في حِيتانِه

(الْ) في قوله جلّ شأنه: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾، تَدلُّ على الجنس، فالمرادُ الإخبارُ عن هذه القرية، أنّها كائنةٌ على البحر، من غير بيانِ أيِّ بحرٍ كان؛ لأنّ المرادَ أنّهم كانوا يعيشون على خيرات البحر، وفي ذلك وَقَعَ الابتلاءُ، وهو يقعُ بأيّ بحرٍ كان، وعند مَن يرى أنّ القريةَ هي أيلة، فـ(أل) عهديّة، والمرادُ بها البحر الأحمر.

---

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/171.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 10/224.
(3) الشّهاب، عناية القاضي: 4/228.
(4) الواحديّ، البسيط: 9/408، والزّمخشريّ، الكشّاف: 2/170.

نُكتةُ التّعْبِيرِ بالاسمِ الموصولِ وصِلتِه:

كانتِ القريةُ في الماضِي حاضِرةً، وانْمحَى خَبرُها عـنِ الـنّـاسِ، فكَشَفَهُ الوحْيُ

في قوله جلّ شأنه: ﴿ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾، عَبَّر عن وصفها بالموصول؛ للدّلالة على الزّمن الماضي المعبَّرِ عنه في الصّلة، إشارةً إلى أنّها اليوم ليست حاضرةً؛ إذ إنّها قد فَنِيَتْ وانمَّحى خبرُها، وكَتَمَه اليهودُ؛ فلذا كان السّؤالُ عنها إظهارًا لليهود بأنّ النّبيَّ ﷺ، إنّما علمَ بِذَلك عن طريق الوحي.

الموقعُ النّحويُّ والبيانيُّ لجُملةِ: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ﴾:

تَقريرُ اعْتِدائِهم هـو المـقـصـودُ بالسُّؤالِ

لمّا قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ كان السّامعُ ينتظرُ أن يبيّنَ عن أيّ شيءٍ يسألهم، فبيّنَ أنّ السّؤالَ عن اعتدائهم، فقال جلّ شأنه: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ﴾، ومحلُّ هذه العبارة "مجرورٌ بدلًا عنِ القرية، بدل الاشتمال؛ أي: واسألهم عن وقت عدوانهم"[1]؛ لأنّ المقصودَ بالسّؤال هو الاعتداء، وتقديرُ الكلام: واسألهم إذ يعدو أهلُ القرية في السّبت[2]، فترك العطفَ على هذا لكمال الاتّصال، وقد يكون للاستئناف البيانيّ جوابًا عن سؤالٍ مُقدَّرٍ: ما شأنهم؟ أو ماذا فعلوا؟.

معنَى ﴿إِذْ﴾ في سِياقِ الآيةِ:

اسـمُ الـزّمـانِ يُـحـدّدُ أوانَ الـعُـدْوانِ في السّبْتِ

افتتح قوله جلّ شأنُه: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ﴾ بـ(إذْ)، وهو "اسمُ زمانٍ للماضي، وليست ظرفًا"[3]، فـ(إذْ) مسؤولٌ عنه، وليس مسؤولًا فيه، فهو ليس ظرفًا للسّؤال، والمقصودُ به وقتُ العدوان[4].

سِرُّ التّعْبِيرِ بالفعْلِ المضارعِ: ﴿يَعْدُونَ﴾:

كـلُّ انْـتِـهـاكٍ لِمـا حـرّمَ اللـهُ، عُـدوانٌ على شَرْعِه وهُداه

عبّر ﷺ عنِ ارتكابهم المحرّم في شريعتهم بالاعتداء، فقال جلّ شأنه: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ﴾، والعدوانُ هو التّجاوزُ عنِ الحدّ، فلمّا

(1) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 3/337.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/148.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/148.
(4) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 3/337.

خالفوا الحقَّ، وانتهكوا ما حُرِّمَ عليهم؛ كان ذلك منهم عدوانًا، وهو اشتغالُهم بصيد الحيتان يومَ السّبت، وعبّر عن ذلك بالفعل المضارع؛ للدّلالة على تكرّر ذلك منهم[1]، أو لاستحضار صورتِهم أمام القارئ والسّامع، ولا مانعَ هنا من اجتماع الغرضين.

معنَى ﴿ٱلسَّبۡتِ﴾ ودَلالةُ الحرفِ ﴿فِي﴾:

في قوله جلّ شأنُه: ﴿إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ﴾، السّبت هو اسمُ اليوم الّذي بعدَ يوم الجمعة، ولـمَّا كان الاعتداءُ معبَّرًا عنه بالفعل المضارع الدّالّ على التّجدّد، دَلَّ ذلك على تَكرارِ الاعتداءِ كلَّ سبتٍ، ودلالة ﴿فِي﴾ الظّرفيّة، تنصّ على أنّ ذلك الاعتداءَ وقعَ في شأن نقصِ حرمةِ السّبت[2].

تَعظيمُ الله للزَّمن، يَجعلُ له حُزمةً وقَداسةً

دَلالةُ تَقييدِ قوله: ﴿يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ﴾:

في قوله جلّ شأنه: ﴿إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ﴾، قيّد اعتداءَهم بأنّه كائنٌ يوم السّبت، وفائدةُ هذا التّقييد الإشارةُ إلى مَزِيَّةٍ يختصُّ بها يومُ السّبت؛ إذ إنّ "ذِكْرَ وقت العدوان لا يتعلَّقُ به غرضُ البليغ، ما لم يكنْ لذلك الوقتِ مزيدُ اختصاصٍ بالفعل، فيُعلَمُ أنّ الاعتداءَ كان مَنُوطًا بحقٍّ خاصٍّ بيوم السّبتِ، وذلك هو حقُّ عدم العملِ فيه؛ إذ ليسَ لِيوم السّبتِ حقٌّ في شريعة موسى، سوى أنّه يَحْرُمُ العملُ فيه، وهذا العملُ هو الصَّيدُ، كما تدُلُّ عليه بقيَّةُ القصَّة"[3].

حِيلَتُهم بنَصْبِ الشِّباك قبْلَ السّبتِ، اعْتِداءٌ على تحريمِ العَمَلِ في السّبْتِ

الموقعُ النّحويُّ والبيانيُّ لإتْيانِ الحيتانِ:

جاء قولُه تعالى: ﴿إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ﴾؛ لبيانِ وقتِ اعتدائهم؛ أي: اسألهم عن اعتدائهم وقتَ الإتيان[4]، وأجاز أئمّةُ التّفسيرِ أن يكون ظرفًا لـ﴿يَعۡدُونَ﴾، أو أن يكون بدلًا عن ﴿إِذۡ يَعۡدُونَ﴾، وكونه ظرفًا

وقتُ اعْتِدائِهم هو وقتُ مجيءِ الحيتانِ يومَ السّبْتِ

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/467، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/148.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/148.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/148.
(4) الواحديّ، البسيط: 9/409.

أرجح للمعنى؛ "لأنّ السّؤالَ عن عداوتهم أدخلُ في التّقريع"[1]، ويمكن أن يكونَ استئنافًا بيانيًّا، جوابًا عن سؤالٍ: كيف عَدَوا في السّبت؟

نُكتةُ إضافةِ الحيتانِ إليهم:

جاء لفظُ الحيتان في قوله جلّ شأنه: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ﴾ مضافةً إليهم، إشارةً إلى أنّ "المرادَ الحيتانُ الكائنةُ في تلك النّاحية الّتي هم فيها"[2]، وفيه تبكيتٌ لهم باعتدائهم؛ إذ إنّها "مخلوقةٌ لهم، فلو صبروا نالوها، وهم مطيعون"[3].

مِنْ كَرمِ اللهِ أنّه تعالى يَخلُقُ، ويَنسِبُ إلى عبادِه

دَلالةُ إضَافةِ السّبْتِ إليهم:

في قوله جلّ شأنه: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾، أضاف السّبت إليهم، وهو يومٌ لكلّ النّاس، لا يختصُّ بأحدٍ ما، ولكنّ اليهودَ اختُصّوا بأحكامٍ في شريعتهم في هذا اليوم؛ لما للسّبت من مكانةٍ وقدسيّةٍ لدى اليهود، فهم يعظّمونه بترك العملِ فيه[4]، فجعله ظرفًا لمجيء الحيتان ابتغاءَ فتنتهم وابتلائهم، فأضافهم إلى السّبت؛ للدّلالة على مجيء الحيتان في اليوم الّذي ينقطعون فيه للعبادة، ويحرُمُ فيه العمل عليهم، والمعنى: "إنّهم إذا حفظوا حرمةَ السّبت، فأمسكوا عنِ الصّيد في يوم السّبت، جاءتِ الحيتانُ يومئذٍ شُرّعًا آمنةً، وإذا بعثهم الطّمعُ في وفرة الصّيد، فأعدّوا له آلاته، وعزموا على الصّيد لم تأتهم"[5].

الحيتانُ تأتيهم يومَ حُرمةِ الصّيدِ عليهم، وانْصرافِهم للعبادةِ

نُكتةُ التّعْبيرِ بـ﴿شُرَّعًا﴾:

عبّر عن كيفيّة مجيءِ الحيتانِ إليهم يومَ السّبت بقوله جلّ شأنه: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾، فهي تجيءُ مقبلةً إليهم،

الحيتانُ تأتي يومَ السّبتِ وافرةً مُكتظّةً قريبةً مِنَ التّناوُلِ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/284.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 5/84.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 8/138.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 8/138، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 9/92.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/149.

مصطفّةً؛ للدّلالة على القُرْب والكثرة، مع ظهورها على سطح الماء[1]، و"ذلك وصفٌ مِن: شرعَتِ الإبلُ نحو الماء؛ أي: دخلَت لتشرَبَ، وهي إذا رعاها الرُّعاةُ تسابقَت إلى الماءِ، فاكتظَّت، وتراكمَت، ورُبَّما دخلَت فيهِ، فمُثِّلَت هيئةُ الحيتان، في كثرتها في الماء بالنَّعَمِ الشّارعَةِ إلى الماء، وحَسَّنَ ذلك وجودُ الماءِ في الحالتين"[2].

بَلاغةُ الكِنايةِ، في قولِه: ﴿شُرَّعًا﴾:

لفظُ (شُرَّعًا)، يعني كثيرةً ظاهرةً، سَهلةَ المُتناوَلِ

بَيَّنَ في قوله جلّ شأنه: ﴿تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ حالَ مجيء الحيتان إليهم يوم السّبت، فهي تأتي ظاهرةً قريبةً منَ الشّاطئ، وكانت تدنو منَ القرية، بحيث يسهلُ تناولُها باليد وصيدُها، وفي ذلك كنايةٌ عن كونها كثيرة، في ورودها يوم السّبت[3].

معنَى الواوِ، في قولِه: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾:

اختبارُ القومِ بوَفرةِ الحِيتانِ يومَ المَنْعِ، قياسٌ للإيمانِ والامْتِثالِ

افتتحَ قوله جلّ شأنه: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ بالواو الدّالّة على الاستئناف؛ لأنّ "الإخبارَ بإتيانها يوم سبتهم، مَظِنّةٌ أن يُقال: فماذا حالهم يوم لا يسبتون؟ فقيل: يوم لا يسبتُون لا تأتِيهم[4].

دَلالاتُ قولِه: ﴿لَا يَسْبِتُونَ﴾:

اتّساعُ الدَّلالةِ يُعطِي بَدائلَ في المعنَى، تُثْرِي دَلالةَ التّركيبِ

جاء النّظمُ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾، متّسعَ الدّلالة، فذكر أئمّةُ التّفسير أنّه يَحتمِلُ أن يُرادَ بها الأيامُ السّتّةُ غير السّبت، ويحتملُ أن يُرادَ بها أيّامُ السّبت الّتي انتهكوا فيها حرمتَه، وفي ذلك جاءَ في التّحرير والتّنوير: "يجوز في قوله: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾ أن يكونَ المعنى: والأيّامُ الّتي لا يَحرُمُ العملُ فيها، أي: أيّامَ الأسبوع، لا تأتي فيها الحيتانُ. وأن يكونَ المعنى: وأيّامَ السُّبُوتِ الّتي استحلُّوها فلم يكُفُّوا عنِ الصّيدِ فيها؛ ينقطعُ فيها إتيانُ الحيتانِ. ولا يخفى أنّ

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/467، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 8/138.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/148 - 149.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/148، والفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 15/391.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/285.

لإيثار هذا الأسلوبِ في التّعبير عنِ السّبت؛ خُصوصِيَّةً بلاغِيَّةً ترمي إلى إرادةِ كلا المعنَيين"[1]. وعلى إرادة المعنى الثّاني، وهو أيّامُ السّبت الّتي استحلُّوها، يكون انتفاءُ مجيء الحيتان شاملًا أيّامَ الأسبوع كلّها، مع السّبت الّذي استحلّوه، ويكون المعنى أنّهم ارتكبوا معصيةَ الاستحلالِ بلا فائدة. وفيه إشارةٌ إلى إصراراهم؛ إذ لمّا انقطعَت عنهم في أيّام السّبت الّذي ينتهكون حرمتَه، فكان ينبغي عليهم أن ينبذوا هذه المعصيةَ، ويثوبوا إلى ربّهم، ولكنّهم أصرّوا على ذلك.

نُكتةُ إضَافةِ لفْظِ (اليوم)، إلى ﴿لَا يَسْبِتُونَ﴾:

أضاف النّظمُ الكريمُ لفظَ (اليوم)، في قوله جلّ شأنه: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾ إلى الجملة الفعليّة المنفيّة؛ للدّلالة على أنّ انتفاءَ مجيء الحيتان كائنٌ في كلّ يوم ليس سبتًا، والمعنى: "والأيّام الّتي لايَحْرُمُ العملُ فيها، أي: أيّامَ الأسبوع، لا تأتي فيها الحيتانُ"[2]. أو يكون المعنى على الاحتمال الثّاني: كلّ يوم لا ينقطعون فيه للعبادة، "ولعلّه عبّر بهذا إشارةً إلى أنّهم لو عظّموا الأحدَ، على أنّه سبتٌ جاءتهم فيه، وهو من: سبتِ اليهود، إذا عظّمت سبتها"[3]، فيكون مجيءُ الحيتان إليهم متعلّقًا بعبادتهم.

السِّرُّ في تَعظيمِ ما عظّمَ الله، واجْتِنابِ ما حرّمَه وأبَاه

دَلالةُ التّعْبِيرِ بالمضارعِ ﴿يَسْبِتُونَ﴾:

في قوله جلّ شأنه: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾، عبّر عن كينونتهم خارجَ يوم السّبت بقوله: ﴿لَا يَسْبِتُونَ﴾؛ أي: "لا يكون سبت"[4]، وإنّما عبّر عن ذلك بالفعل المضارع؛ للدّلالة على استمرار ذلك زمانًا تجدّدَ فيه هذا الحدث، ودخل النّفيُ على المضارع؛ للدّلالة على استمرار النّفي، لا نفي الاستمرار، والمعنى: تَكرارُ الأيّام الّتي لا ينقطعون فيها

معنَى (يَسْبِتُونَ) يَدخُلونَ السّبتَ، ويَنقطِعونَ عنِ الاشْتغالِ بغيرِ العبادةِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/149، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/284.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/149.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 8/138.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/138.

للعبادة وتجدّدها؛ تمهيدًا للتّعبير عن نفي مجيئها بتلك الأيّام على وجه الاستمرار. ولا يخفى أنّ التّعبيرَ بالأفعال المضارعة عنِ الأخبارِ الماضويّةِ، فيه استحضارٌ للصّورة أمام القارئ والسّامع.

مَوقعُ قوله: ﴿لَا تَأۡتِيهِمۡۚ﴾، ومعنَى النّفْي في هذا السّياقِ:

الدّلالةُ على أنّ مجيءَ الحيتان مُرْتبطٌ بسبْتِهم وُجودًا وعدَمًا

أصلُ النّظمِ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ﴾ أن يقولَ: (تأتيهم حيتانُهم يوم سبتهم، ولا تأتيهم يوم لا يسبتون)، ولكنّه غيّر النّظمَ بتقديم الظّرف: ﴿وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ﴾؛ لأنّ "الإتيانَ يومَ سبتِهم مَظِنّةٌ، كما قيل لأن يُقالَ: فماذا حالُها يومَ لا يَسبِتُون؟ فقيلَ: يومَ لا يَسبِتُونَ لا تأتيهم"[1]. كما أنّ فيه اهتمامًا بعلّة عدمِ مجيءِ الحيتان، فهو إشارةٌ إلى أنّ انتفاءَ المجيء، إنّما هو بسببِ أنّهم لا يسبتون؛ أي: يوم لا ينقطعون للعبادة لا تأتي الحيتان.

ونفيُ الإتيانِ بصيغة الفعل المضارع؛ للدّلالة على استمرار النّفي، والمعنى: أنّها لا تأتي في أيّام الأسبوع كلِّها إلّا يومَ السّبتِ، فانقطاعها عنِ المجيء مُتكرِّرٌ في كلّ أسبوع.

الموقعُ البيانيُّ لجُملةِ: ﴿نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾:

الاسْتِئْنافُ إشارةٌ إلى عِلّةِ ذلك الابتلاءِ

الجملةُ في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ استئنافيّةٌ، وقعَت جوابًا لسؤالٍ عن القصّةِ، كأنّه يقول: "ما فائدةُ هذه الآية، مع علم الله بأنّهم لا يَرْعَوُونَ عنِ انتهاك حرمةِ السّبتِ"[2]؟ أي: أنّ الابتلاءَ المشارَ إليه جاءَ تعليلًا لأحداث تلك القصّة، فامتناعُ الحيتان عنِ المجيء كان اختبارًا شديدًا لهم.

معنَى (الكاف) في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ ودَلالتُها على التّشْبيه:

شبَّهَ اللهُ ابْتِلاءَهم بأمْرِ الحيتانِ، بالابْتِلاءِ العظيمِ الّذي يَبْتَلِي به عِبادَه

افتتحَ الجملةَ الاستئنافيّةَ بكاف التّشبيه، في قوله جلّ شأنه: ﴿كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾؛ لتشبيه ما وقع لهم بما جرَت

(1) الآلوسي، روح المعاني: 5/85.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/150، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 8/138.

به عادةُ المولى ﷻ، في ابتلاء عبادِه اختبارًا أو عقابًا لهم، "أي: مثلَ هذا الابتلاءِ العظيمِ نبلُوهم"[1].

دَلالةُ التّعْبِيرِ باسْمِ الإشارةِ للبعيدِ ﴿كَذَٰلِكَ﴾:

جاء اسمُ الإشارة في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم﴾ دالًّا على البعد؛ إشارةً إلى عِظم البلاءِ وشدّته، أي: "مثلَ ذلك البلاءِ العجيبِ الفظيعِ"[2]، وأشدُّ ما يقع للنّاس منَ البلاء ما تعلَّقَ بأمنهم وقُوْتهم.

كانَ ذلك البلاءُ عظيمًا شَديدًا، جَديرًا بأن يُشارَ له بالبُعْدِ

سِرُّ التّعْبِيرِ بالمضارعِ: ﴿نَبْلُوهُم﴾:

عَبَّر عنِ الابتلاء في قوله جلّ شأنه: ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم﴾، بصيغة الفعلِ المضارعِ الدّالِّ على التّجدّد والاستمرار؛ إعلامًا بتجدّد الاختبار؛ لأنّه كان مُتكرِّرًا كلَّ سبت، كما أنّ في التّعبير بالمضارع يحكي "الحالَ الماضيةَ لاستحضارِ صورتِها والتّعجيبِ منها"[3]، فيحيلُ تلك القصّةَ إلى مشهدٍ متخيَّلٍ في ذهن السّامع.

الابْتِلاءُ مُتَجدِّدٌ يَتكرّرُ كلَّ سبْتٍ، ولا يَنقطعُ

معنَى الباءِ في قوله: ﴿بِمَا كَانُواْ﴾:

دلّتِ الباءُ في قوله جلّ شأنه: ﴿نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ على السّببيّة؛ أي: بسبب فِسْقِهم ابتليناهم ذلك الابتلاءَ العجيبَ، وفي ذلك إشارةٌ إلى أنّ اللّه تعالى لا يظلمُ أحدًا من عباده؛ لئلّا يتطرّقَ الوهمُ لأحدٍ أنّ اللّه تعالى إنّما قصدَ إهلاكَهم، بل هم كانوا فاسقين خارجين عنِ اتّباع ما أُوحِي إليهم.

تَـقـرّرَ ذلـك الابْتِلاءُ عليهم وتَكرَّرَ، بسبَبِ فِسْقِهم المتكرِّرِ

دَلالةُ (ما) على المصدريّةِ:

دلّ قولُه جلّ شأنه: ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ على سبب ابتلائهم، وذلك بسبب فسقهم، فـ (ما) مصدريّة؛ أي: نبلوهم بسبب فسقِهم، فَتَوغُّلُهم في العصيان أضرَّهم على الزّيادةِ منهُ[4]. ولا يصلح أن

الـفِـسْـقُ هو الـسّـبـبُ في ابْتِلائِهم ذلك الابْتِلاءَ العظيمَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/150.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/285، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/150.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 5/85.
(4) ابن عادل، اللّباب: 9/359.

تكون موصولةً بمعنى (الّذي)؛ لتكلُّفِ حذفِ العائد، وما كان بلا تأويلِ محذوفٍ فهو أولى[1].

سِرُّ دُخولِ لفْظِ (كانوا)، في جُملةِ الوصْفِ بالفِسْقِ:

الفِسْقُ خُلُقٌ راسخٌ فيهم، دَأَبُوا عليه واعتادُوه

قوله تعالى: ﴿نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾؛ دخل الفعلُ (كان) في جملة الوصف بالفسق للتّعبير عن عَراقتِهم بالفسق ورسوخِهم فيه، وأنّهم قد دأبوا عليه زمانًا طويلًا، وأنّ فِسْقَهم ليس حادثًا مع هذه القصّة، بل هو نهجٌ قديمٌ لهم.

نُكتةُ التَّعْبيرِ بالفعْلِ المضارعِ ﴿يَفْسُقُونَ﴾:

اغْتِيادُ الفِسْقِ يَصيرُ لهم سَجِيّةً، لا فِكاكَ لهم عنه

عَبَّر عن فِسْقِهم في قوله جلّ شأنُه: ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ الدّالّ على خروجهم عن تعاليمِ اللّه تعالى، وانتهاكِهم المحرّماتِ بالفعل المضارع؛ للدّلالة على أنّ فسقَهم مستمرٌّ متجدِّدٌ، والجمع بين الفعل الماضي ﴿كَانُواْ﴾، والمضارع ﴿يَفْسُقُونَ﴾؛ للدّلالة على إصرارهم على الفسق. ودلّ هذا التّجدُّدُ والاستمرارُ على أنّ الفسقَ لا يكون سببًا للبلوى، بل بسبب كونهم اعتادوا الخروجَ عنِ الطّاعة في كلِّ أفعالهم[2].

عِلّةُ الفَرْقِ بين الفاصلَتَيْن، وتَخصيصُ كلِّ فاصلةٍ بما ذُكِرَ فيها:

تناسُبُ مُفرداتِ السِّياقِ، بالمقابَلةِ بين الرِّجْزِ والظُّلْمِ، والابتلاءِ والفِسْقِ

جاءتِ الفاصلةُ في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾ مختومةً بالظّلم، والفاصلةُ في قوله جلّ شأنُه: ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ مختومةً بالفسق؛ لأنّ العذابَ بالرّجز أشدُّ منَ الابتلاء؛ فتكون علّتُه أشدَّ من علّة الابتلاء، ومعلومٌ أنّ الظّلمَ أشدُّ منَ الفسق، "ولفظُ الظّلم في قوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾ بما يقتضيه مِن أنّهم لا ينفكّون عنِ الكون في الظّلم،

(1) ابن عادل، اللّباب: 9/359، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/150.
(2) ابن كمال باشا، تفسير ابن كمال باشا: 1/193.

إمّا مطلقًا، وإمّا مع تجديد فعلِ مَن هو فيه أهولُ من لفظ الفسق، المقتضي لتجديد الخروجِ، ممّا ينبغي الاستقرار فيه"[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

العَدْوُ والبغيُ والظُّلمُ:

الاعتداء: أصلُه يدُلُّ على تَجاوُزٍ في الشَّيءِ، وتَقَدُّمٍ لِمَا يَنبَغِي أَن يُقتَصَرَ عليه، وهو خروجٌ عمّا حُدَّ ورُسِمَ[2]. والعَداوَةُ: "إرادَةُ السُّوءِ لِمَا تُعادِيه، وأَصلُهُ المَيلُ، ومِنهُ عُدْوَةُ الوادِي، وهي جانِبُهُ، ويَجوزُ أَن يَكونَ أَصلُهُ البُعدَ، ومِنهُ عُدَواءُ الدَّارِ؛ أَي: بُعدُهَا، وعَدا الشَّيءَ يَعدُوهُ إذا تَجاوَزَهُ، كأَنَّهُ بَعُدَ عَنِ التَّوَسُّطِ"[3]. "العَدْوُ هو التَّعَدِّي في الأُمورِ، وتَجاوُزُ ما يَنبَغِي يُقتَصَرَ عليه"[4]. والبَغيُ: "شدَّةُ الطّلبِ لما لَيسَ بِحَقٍّ، وبَغَى الجُرْحُ يَبغِي: إذا ترامى إلى فَسَادٍ. يرجعُ إلى ذَلِك البغاء وهو الزِّنَا"[5].

العَـدْوُ تَعْـبيرٌ دقيقٌ عن تجاوُزِ حَـدِّ الـشّـرعِ، دونَ غيرِها مِنَ الألفاظِ

والظّلم: أصلُه نقصان الحقِّ، ونقيضُ الظُّلمِ الإنصافُ، وهو إعطاءُ الحقِّ على التّمام[6].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ﴾؛ أي: أنّهم "يتعدَّون حدَّ الشّرع في دينهم، مِن تركِ الاصطيادِ في يوم السّبت"[7]، فعبّر عن جريمتهم بالاعتداء؛ لأنّهم تجاوزوا حدَّ الشّرع، فانتهَكوا الممنوعَ، وهذا منَ الاعتداء، لا منَ الظّلم ولا البغي.

البلاءُ والفتنةُ والمحنةُ:

البلاءُ في الأَصل: التّكليفُ بالأمر الشّاق، ولا يكون إلَّا بتَحْمِيل

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 8/137.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (عدو).
(3) العسكريّ، الفروق، ص: 131.
(4) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 5/193.
(5) العسكريّ، الفروق، ص: 232.
(6) العسكريّ، الفروق، ص: 172.
(7) النّسفيّ، التّيسير في التّفسير: 7/39.

المكاره[1]، والفتنةُ ما يتَبَيَّنُ بهَا حَالُ الإنسانِ منَ الخَير والشَّرِّ، يُقال: فَتنتُ الذَّهَب بالنَّار، لتعلمَ أَنّه خَالصٌ أَو مشوبٌ، فهي أشدُّ الاختبار؛ لأنّها مشتقّةٌ منَ الحرق بالنّار[2]. والمِحنَةُ: واحدة المِحَنِ الّتي يُمتَحَنُ بها الإنسانُ من بليَّةٍ. ومَحَنتُهُ وامتَحَنْتُهُ؛ أي: اختبرته، والاسم المِحنَةُ، مَحَنَهُ سَوطًا: ضَرَبَهُ[3].

آثَرَ السِّياقُ لفْظَ البلاءِ؛ لأنّه ليسَ فيه معنَى التّعذيبِ، ولا الاضْطِرابِ

وإنّما آثرَ أن يعبّرَ عنِ الاختبار بالابتلاء في هذا الموضِعِ؛ لأنّه ليس فيه معنى التّعذيب، ولا يؤدّي إلى الاضطراب، بل المرادُ منه التّشديدُ، وهو مقتضى الابتلاء دون الفتنة، فإذا كانتِ الفتنةُ منَ الحرق، فإنّ الامتحانَ منَ الضّرب، والغايةُ منه الكشفُ.وأمّا الابتلاءُ فالمرادُ منه الشّدّةُ والتّشديدُ والمشقّةُ، وهي الّتي تناسبُ الآيةَ ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾؛ إذ إنّ الابتلاءَ بالمعاش، بامتناع مجيءِ الحيتان إليهم، مشقّةٌ وشدّةٌ في العيش.

(1) العسكريّ، الفروق، ص: 216، والكفويّ، الكلّيّات، ص: 34.
(2) العسكريّ، الفروق، ص: 217، والكفويّ، الكلّيّات، ص: 692.
(3) الجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (محن).

المحتويات

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 14 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-10-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 14 : المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-10-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»